

دور الاستعمار البريطاني في ادخال الإثنية الى بلاد الملايو

أ.م.د. ماهر جبار محمد علي الخليفي

كلية الامام الكاظم – قسم التاريخ

The role of British colonialism in introducing ethnicity to the Malay lands
Asst. Prof. Dr. Maher Jabbar Mohammed Ali Al-Khaleeli

Abstract: Malaysia being situated on a peninsula which projects into the Indian Ocean on the one side, and the Straits of Malacca on the other, was In a strategic geographical position la so far as the trade routes of South Bast Asia and the Far East were concerned.

This study sets out to test the proposition that whereas there was a degree of inter-ethnic harmony among the different groups resident in the country in the pre-colonial period, the introduction of colonial rule had a negative impact on this harmony and resulted in "racial" tension and conflict.

More specifically, the study while accepting that the imposition of colonial rule was accompanied by economic growth, focusses on the distributional aspects of this growth, and the study also attempts to identify the individuals who contributed to fueling this conflict.

It argues that because economic growth in the modern sector of the economy took place at the expense of the peasant sector, and because the immigrant and indigenous working populations were concentrated in the respective sectors, economic benefits were seen by the indigenous Malays as accruing to the immigrants Chinese and Indians. This had a negative impact on the harmonious pattern of "race" relations which existed prior to the imposition of British colonial rule.

المستخلص: بلاد الملايو تقع في جنوب شرق آسيا جغرافيا، وتشمل شبه جزيرة الملايو وأرخبيل الملايو الذي يضم آلاف الجزر، وتتوسط مساحة واسعة بين المحيط الهندي والمحيط الهادئ، وتتوسط



Article history

Received: 13/ 8 /2026

Accepted: 3 / 9 /2026

Published : 30 / 9 /2026

تواريخ البحث

تاريخ الاستلام: 13 / 8 / 2026

تاريخ القبول: 3 / 9 / 2026

تاريخ النشر : 30 / 9 / 2026

الكلمات المفتاحية العربية : الاستعمار
البريطاني – تاريخ ماليزيا – الأثنية –
الملايو- سنغافورة

**Keywords : : British
colonialism – History of
Malaysia – Ethnicity – Malays-
Singapore**

© 2023 THIS IS AN OPEN
ACCESS ARTICLE UNDER THE CC
BY LICENSE



<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>

Corresponding author:

mahiralkhalili@iku.edu.iq

DOI : [10.61710/v10/i3/s31](https://doi.org/10.61710/v10/i3/s31)

ايضا طرق الملاحة الدولية والتجارة العالمية القديمة بين الصين والهند والعالم العربي، والحديثة بين روسيا واليابان والولايات المتحدة الامريكية.

انقسمت بلاد الملايو فيما بعد الى عدة دول، ومنها سنغافورة واندونيسيا، ولكن نخص بالذكر دولة ماليزيا التي تُعد نموذجاً بارزاً للدولة متعددة الأعراق والأثنيات، حيث كانت المجموعات المختلفة المتوطنة والمهاجرة متعايشة معاً في سلام قبل الاستعمار البريطاني.

على الرغم من وجود قدر من الانسجام بين المجموعات الاثنية المختلفة المقيمة في بلاد الملايو، خلال مدة اكثر من قرنين لمرحلة ما قبل الاستعمار، إلا أن الحكم الاستعماري البريطاني قد غير من اساليب الادارة والقوانين والانتاج الاقتصادي، مما أثر سلباً على الانسجام وأدى إلى نشوء توترات وخلق صراعات إثنية بين ابناء المجتمع.

تركز هذه الدراسة على جوانب توزيع الثروة الناتجة عن النمو الاقتصادي في ظل الحكم الاستعماري البريطاني، وهذا النمو في قطاعات حديثة من الاقتصاد لبلاد الملايو قد تحقق على حساب القطاع الزراعي التقليدي، ونظراً لتركز القوى العاملة المهاجرة والسكان الأصليين في قطاعات اقتصادية متباينة، فقد رأى الملايو الأصليون أن ثمار هذا النمو الاقتصادي تذهب لصالح المهاجرين من الصينيين والهنود، وأدى ذلك إلى تأثير سلبي على نمط العلاقات الاثنية التي كانت سائدة قبل الحكم الاستعماري البريطاني.

المقدمة

ماليزيا الحالية كانت تسمى سابقا بلاد الملايو وتشمل مدن ومناطق أخرى، وتعد ماليزيا في الوقت الراهن لكثير من البلدان النامية تجربة تنمية ناجحة، وعند بعض المؤرخين ان السبب الرئيس لهذا النجاح هو الاستعمار البريطاني، الذي نجح في تأسيس وانشاء المدن والبلدات في مناطق كانت ذات يوم مستنقعات، حيث تعد نسخة آسيوية ناجحة بنقل المجتمع من الفقر المدقع إلى الثراء، في حين يرى آخرون ان الاستعمار البريطاني كان سببا رئيسيا في زرع بذور الاثنية والانقسام في المجتمعات الملايوية.

تبحث الدراسة في موضوع اعادة تشكيل الهوية الاثنية في مناطق الملايو، لاسيما الجوانب الاقتصادية وصناعات التصدير والمطاط، كما تبحث الدور البريطاني الكبير في إرساء أسس تطوير الاقتصاد، ومثل هذا التطور شكل نمطاً جديداً للإنتاج وخلق هياكل مؤسسية جديدة تشمل الاستثمار الرأسمالي الغربي من ناحية، والقوى العاملة المهاجرة من ناحية أخرى، والهدف هو محاولة فهم الانقسام الحاد في مجتمع ماليزيا الحديث بالعودة الى الجذور واكتشاف الاسباب.

تميز الجزء الأخير من القرن التاسع عشر بزيادة نمط العلاقات السياسية المقرونة بالتفوق الاقتصادي أو الهيمنة الاقتصادية للدول الاستعمارية، مع عرقيات جديدة تابعة لها، مما ترك آثاراً أيديولوجية على العرقيات الأصلية المتوطنة منذ مئات السنين.

مع بداية القرن العشرين ازداد استغلال بريطانيا للنمط الجديد من الاقتصاد الميسر من خلال القصد والمطاط المزروع، فالأهمية المتزايدة لرأس المال تنتج هيمنة سياسية مصممة لحماية الاستثمارات، أصبحت بالفعل سمة من سمات السياسة الجديدة.

تتبع أهمية البحث من كونه يتناول أحد أهم التحولات التاريخية التي شهدتها بلاد الملايو خلال الحقبة الاستعمارية البريطانية، إذ أسهمت السياسات الاستعمارية في إعادة تشكيل البنية السكانية والاجتماعية من خلال استقدام جماعات إثنية مختلفة، ولا سيما الصينيين والهنود، لتلبية احتياجات الاقتصاد الاستعماري.

كما يوضح البحث أثر هذه السياسات في تكوين المجتمع الملايوي متعدد الإثنيات، وما ترتب عليها من انعكاسات سياسية واقتصادية واجتماعية ما زالت تؤثر في جميع مناطق الملايو المنتشرة على دول. تنطلق إشكالية البحث من التساؤل الرئيس الآتي: " إلى أي مدى أسهم الاستعمار البريطاني في إدخال وتكريس البنية الإثنية في بلاد الملايو، وما الدوافع والآليات التي استخدمها لتحقيق ذلك؟ ".

كما يمكن طرحها بشكل إشكالية تاريخية عن طريق السؤال الآتي: هل هناك درجة من الانسجام بين الأعراق والإثنيات الملايوية المقيمة في البلاد قبل إنشاء الاستعمار البريطاني؟ والسؤال الثاني: هل كان الحكم الاستعماري تأثير سلبي وأدى إلى التوتر والصراع العنصري؟ والسؤال الآخر هل غيرت بريطانيا من نمط العلاقات العرقية بين أبناء مناطق الملايو؟

يتفرع عن هذه الإشكالية التساؤلات الآتية: ما طبيعة التركيبة السكانية في بلاد الملايو قبل الاحتلال البريطاني؟ ما الدوافع الاقتصادية والسياسية التي دفعت بريطانيا إلى استقدام جماعات إثنية جديدة؟ ما الوسائل التي اعتمدتها الإدارة البريطانية في تنظيم العلاقات بين المجموعات الإثنية؟

تركز الدراسة على الجوانب التوزيعية للنمو الاقتصادي، بمعنى هل تم على حساب طبقة الفلاحين؟ إذ إن تركيز المهاجرين من الصينيين والهنود في مناطق معينة وتوكل لهم أعمال اقتصادية معينة، هل أسهم في زيادة الفوائد الاقتصادية للمهاجرين على حساب السكان الأصليين؟

تم استخدام المنهج التاريخي لدراسة تطور السياسة البريطانية في بلاد الملايو، والمنهج التحليلي لتحليل سياسات الاستعمار المتعلقة بالهجرة والإدارة الإثنية وآثارها، والمنهج المقارن عند مقارنة الأوضاع السكانية قبل الاحتلال البريطاني وبعده، وبيان الفروق في البنية الاجتماعية.

قسم الباحث الدراسة الى تمهيد واربعة محاور، تناول التمهيد مفهوم الاثنية، فيما تناول الاول ظهور الهيمنة البريطانية لبلاد الملايو، والثاني اختص بمستوطنات المضيق، اما الثالث فرانسييس لايت مؤسس بينانج وهي من أهم المدن الماليزية الحالية، فيما تناول الرابع ستامفورد رافلز مؤسس سنغافورة التي اصبحت دولة مستقلة فيما بعد، وقد اختتمت الدراسة بالاستنتاجات التي توصل اليها الباحث عن طريق التحليلات المعمقة.

اعتمد الباحث على مصادر مهمة وثقت هذه المرحلة التاريخية من تاريخ بلاد الملايو، ومنها بحث للجزائري عبد المجيد بوقرة المنشور في مجلة الحقيقة سنة (2023) وعنوانه " التنوع العرقي والتنمية في دولة ما بعد الاستعمار: تجربة ماليزيا أنموذجاً، وكذلك اطروحة الدكتوراه للاستاذ الدكتور كاظم جواد الهيازي سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الملايو (ماليزيا) 1945-1981، وهي اطروحة مهمة وفيها معلومات وافية ودقيقة ، فضلا عن اطروحة الدكتوراه للباحث ماهر جبار محمد علي الخليلي عنوانها مهاتير محمد ودوره في تحديث ماليزيا (1969-1991) .

اما الكتب والبحوث الاجنبية فكان الاعتماد الاساس على كتاب المؤلف (Alatas, S. H.) والمعنون (Thomas) والمعنون (Stamford Raffles, 1781-1826: Schemer or reformer) والمهم في توثيق سيرة مؤسس سنغافورة واجراءاته، وكذلك كتاب للمؤلف نفسه وعنوانه (The myth of the lazy native) ويعد من الكتب المهمة التي ساعدت الباحث على التحليل والتدقيق في المعلومات. واخيرا استند الباحث في كثير من المعلومات التاريخية الموثقة على كتاب المؤلف (Clodd, H.) والمعنون (P.) والمعنون (Malaya's first British pioneer: The life of Francis Light) والذي وثق حياة مؤسس بينانج فرانسيس لايت.

التمهيد: مفهوم الاثنية:

الأصل اللغوي لكلمة الاثنية يعود لليونانية القديمة، وتعني الأمة، وتعريفها "جماعة بشرية ذات الاصل الواحد"، ويشير المفهوم عند الاوربيين القدماء الى كل العناصر البشرية من غير المسيحيين واليهود (إبراهيم، 1992، ص32) .

أشار أحد الباحثين بأن كلمة إثنية او كما يطلق عليها (بالإنكليزية Ethnicity) قد أتت من الكلمة اليونانية الكلاسيكية (Ethnos)، وتعني شعب أو قبلية، وظلت تستخدم في الغرب للإشارة إلى الأفراد المهمشين أو المكروهون، وإشارة في (الانجيل gospel) للفرقة بين الحواريين وبني اسرائيل، وهناك إشارة كذلك الى "الوثنية" أو "وثني" (دايش، 2021) .

منذ ظهور مفهوم الأثنية وشيوعه لا يزال من أكثر المفاهيم إثارة للجدل والخلاف حول مضامينه ومدلولاته، وهنا نتساءل ما الذي نعنيه بالأثنية؟ وماهي أهم مقوماتها التي تجعلها تتميز عن المفاهيم الأخرى؟.

إن الأثنية مشتقة من كلمة (Ethnos اثنوس) اليونانية القديمة، والتي تعني الأمة، وأنه لا يوجد إختلاف بين الجماعة الأثنية والأمة، ويقصد بها جماعة من الأفراد لهم سمات مشتركة وتشارك في الخصائص نفسها والتمركز الجغرافي، والزواج يكون بينهم في الغالب، وهكذا يتم تخليد الأثنية الخاصة بهذه الجماعة وتنتقل من جيل إلى جيل، حتى وإن كانوا مهاجرين وجماعات مشتقة (Panayi, 2000, p.101).

في ذات السياق من الناحية اللغوية تشير إلى أصل (الأثنية) هي الشعوب الذين لم يتبنوا النظام السياسي والاجتماعي لدولة المدينة والأثنيون عند اليونانيين القدامى هم افراد مبعدون عن ثقافتهم، لكنهم غير مشمولين داخل دولة المدينة (عبد الستار، 2015، ص2).

يعرف البعض الأثنية بأنها مجموعة أفراد يتمتعون بهوية مختلفة عن هويات أخرى في المجتمع أو بين مجموعات داخل الدولة، وهذه الهوية متجذرة في التاريخ، بالأصل العرقي والادراك التام للعناصر المشتركة في الدين والعادات واللغة والثقافة والتقاليد وعادة يجمعهم موقع جغرافي معين (شايب، 2016، ص9).

ربط البعض الأثنية بالعرق (Race) وهي واجهة للعنصرية وليس تمييز بين الأقليات، والأثنية (Ethnos) تعني الشعوب غير المنظمين في المدن، أما في العصر الحديث فإن ظهورها يعود إلى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ومنها جاءت الأثنولوجيا والتي تعني علم الشعوب (شايب، 2016، ص10).

ركزت الدراسات الأوروبية على الأبعاد المادية لمفهوم الإثنية مرادفة إياها بالعرقية، أكدت دراسات أخرى من القارة الأمريكية، على الأبعاد الاجتماعية والثقافية للمفهوم. الأمر الذي انعكس في التعريفات المعطاة لمفهوم الإثنية في المعاجم والقواميس الصادرة على جانبي المحيط. (ابراهيم، 1994، ص21). تعرف الموسوعة البريطانية الإثنية "جماعة اجتماعية أو فئة Category من الأفراد في إطار مجتمع أكبر. تجمعهم روابط مشتركة من العرق Race، واللغة، القومية أو الثقافة. (Encyclopedia, (1992), P.582).

يرى الباحث بان مفهوم الأثنية اختلط حديثا مع مفاهيم أخرى مثل العرقية والمذهبية والطائفية، وكلها تصب في خانة واحدة وهي التعدد والتنوع مرة دينيا ومرة قوميا ومرة جنسيا وأخرى اجتماعيا وهكذا،

فالأنتية في هذا السياق هي انقسام شعب معين الى مجموعات مختلفة، وفي كل الاحوال هي اشارة الى المنظور السلبي للمفهوم وليس الايجابي بما ارتكزت عليه هذه الدراسة.

اولاً: ظهور الهيمنة السياسية البريطانية في أرخبيل الملايو

أرخبيل الملايو Malay Archipelago مجموعة من الجزر وشبه الجزر التي تقع في منطقة جنوب شرق آسيا، ويتكون من ثلاث دول (ماليزيا وإندونيسيا والفلبين)، فضلاً عن المملكة البرونزية وسنغافورة ومنطقة الفطاني جنوب تايلاند.

تكتسب فترة السيطرة الهولندية على ملقا Malacca (التي انتزعت من البرتغاليين عام 1640 واستمرت حتى الاحتلال البريطاني عام 1795) أهمية خاصة نظراً لطبيعة العلاقات التي أقامها الهولنديون مع كل من البريطانيين ودويلات الملايو المجاورة، أما علاقاتهم بالمناطق الداخلية في الملايو، تمحورت بشكل رئيسي حول تجارة القصدير، ومع ذلك، فإن سياسات الاحتكار التجاري الهولندية دفعت دويلات الملايو إلى تأكيد استقلاليتها من خلال التعامل المباشر في تجارة القصدير مع التجار الأجانب، ونتيجة لذلك، تضرر اقتصاد ملقا، حيث تحولت مسارات تجارة القصدير فعلياً بحلول عام 1790 نحو البريطانيين في بينانج، إذ نجحوا في الاستحواذ على معظم حركة التجارة في المنطقة (Winstedt, 1966, p.51).

أصبح المحيط الهندي في القرن السابع عشر نقطة محورية في التنافس الغربي بين الدول الأوروبية والمتمثلة بالتنافس الهولندي والفرنسي والبريطاني، وكان هذا التنافس مترافقاً مع تطورات الأحداث في أوروبا، بدأت المصالح الانكليزية في البلاد من الناحية التجارية، إذ كانت شركة الهند الشرقية الانكليزية بحاجة الى مركز تجاري لجمع التوابل الهندية وكذلك مرفأ لتصليح السفن والحصول على المياه الصالحة للشرب (الهيازعي، 2015، ص20).

اعتقد البريطانيون أنفسهم متفوقين على القوى الأوروبية عسكرياً وعلى شعوب مناطق الملايو متفوقين ثقافياً وعرقياً وعلى جميع الشعوب غير البيضاء، وعزز هذا الموقف النشاط التبشيري والبعثات الحضارية في المستعمرات، إلا أن هذا الاعتقاد بالتفوق لم يتجسد بالضرورة في الهيمنة السياسية والاقتصادية، بل كان إيماناً متأصلاً بعدم المساواة بين "البيض" و"غير البيض" في تسلسل هرمي عالمي، حيث يُشكل الأول "العرق" الأعلى، والثاني "العرق الأدنى". (Winthrop, 1965, p.5-11).

مع تأسيس وتوطيد النفوذ البريطاني، والحكم الاستعماري اللاحق، وصلت التأثيرات السياسية والاجتماعية المرتبطة بالوجود الأوروبي إلى ذروتها، حيث أنتج تغييرات هيكلية أساسية في مجتمع الملايو، من ناحية العلاقات العرقية وارتبط ذلك مع نمط الإنتاج الرأسمالي الذي أدخله البريطانيون خلال هذه الفترة.

لم يتم تحديد مناطق نفوذ الهولنديين والبريطانيين بوضوح إلا بعد المعاهدة الأنجلو هولندية لعام 1824، وأصبحت شبه جزيرة الملايو بأكملها منذ ذلك الحين منطقة نفوذ لبريطانيا، وبدأت مع المهاجرين الصينيين الذين عملوا كرجال أعمال (وإلى حد أقل عدد قليل من الهنود لتحقيق مكانة مهنية) وأدت إلى شعور الملايو بأنهم يخضعون لمجتمعات المهاجرين الأجانب، وأدى هذا الأمر إلى عدم الثقة الذي أعقب ذلك والذي ميز العلاقة بين المجموعات المختلفة، وقاد إلى تصور أنهم كانوا خاضعين لنوعين من الاستعمار (Allen & Donnithorne, 1957, p.40).

إن الأهمية الاقتصادية لصناعات القصدير والمطاط للتصنيع في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية معروفة، وبسبب هذه الصناعات الموجهة للتصدير، كان هناك تحول في اقتصاد غرب ماليزيا، من زراعة الكفاف إلى تصدير المواد الخام، وهو تحول نحو السوق الدولية، وتسبب بتغييرات اجتماعية (Allen & Donnithorne, 1957, p.41).

هاجر الصينيون والهنود إلى مناطق الملايو في القرن التاسع عشر، وشجع حضورهم البريطانيين، من أجل العمل في مناجم القصدير ومزارع المطاط، ومع مرور الوقت، سيطر الصينيون على الأعمال والتجارة، بينما ظل معظم الهنود يعملون على المطاط ومزارع زيت النخيل، فيما انقسم الملايو لفئتين: الأولى المسؤولين (مثل الجيش والشرطة والموظفين المدنيين)، والثانية هم المزارعين والصيادين ومقرهم في المناطق الريفية (Mauzy, 1993, p.107).

بعد عام 1880، كانت الهجرة الصينية مكثفة استجابة للطلب على العمالة للعمل في مناجم القصدير، ولاحقًا في مزارع المطاط أيضًا، فقد جاء المهاجرون من مناطق الصين الفقيرة بل المعدمة، لاسيما من قبائل (الهাকা، تيوتشي، الكانتون)، وعملوا بشكل رئيسي في مناجم القصدير في (كينتا)، حيث تم العثور على أحد أعلى رواسب القصدير في العالم، وقد سيطر الصينيون على صناعة القصدير حتى أوائل القرن العشرين، وتمكنوا من المنافسة بنجاح مع رأس المال والتكنولوجيا الأوروبية. (Abraham, 1987, p.2).

أما الهجرة الهندية حتى ثمانينيات القرن التاسع عشر فكانت من ساحل (كورومانديل) جنوب الهند، على الرغم من أنهم كانوا تجارًا في الغالب، إلا أنهم هاجروا لاحقًا لشغل مناصب في بلاط السلطان، في ولايات الملايو، ولا سيما في كيداه أو (قدح) كما تم إرسال مدانين هنود للعمل في بينانج وسنغافورة عندما تم إعلانها مستوطنات عقابية، ولكن بشكل عام كان معظم المهاجرين الهنود من التجار المسلمين الذين تزوجوا في كثير من الأحيان من السكان الأصليين الذين شاركهم نفس الدين (Abraham, 1987, p.2).

ازدادت الهجرة الهندية في بدايات القرن العشرين، تلبية لطلب العمالة في صناعة مزارع المطاط، وكانت هذه الهجرة مختلفة تماماً عن هجرة الصينيين لأنها كانت "مدعومة" من الاستعمار ، مما أحدث بشكل واضح انقسامات اجتماعية، وذلك لأن الرتب الإدارية للموظفين الآسيويين كانت تُختار من مجموعات عرقية وطبقات اجتماعية مختلفة، وهذا ما يقال عنه التفضيل على أساس أثني. (Abraham,1987,p.2)

مارس البريطانيون بنجاح بما يطلق عليه "الفجوة والحكم" في مناطق الملايو، حيث عاشت المجموعات العرقية بشكل منفصل حتى في أنشطتها الاقتصادية المختلفة، وعلى الرغم من ذلك إلا أنهم عاشوا في سلام عرقي واستقرار سياسي، وكان سر نجاح الملايو حفاظهم على السلام العرقي والاستقرار السياسي لأنهم مارسوا نظام اقرب الى (الحكم الرشيد) من ناحية احترام مبادئ سيادة القانون (Mauzy,1993, p.108).

كان للوجود الأوروبي مقتصر على المصالح التجارية في بداياته، ولكن كان التأثير مدمر على الاستقرار السياسي وهيكل الطبقة الحاكمة في مناطق الملايو، على الرغم من أنه لم يؤثر على كتلة السكان الأصليين إلى حد ما، وبما أن الاختراق الاقتصادي الأوروبي لم يؤدي إلى إنشاء مؤسسات جديدة أو إنتاج علاقات اقتصادية جديدة ذات طبيعة استغلالية في تعاملاتها مع السكان الأصليين. تعد المرحلة الأولى من السيطرة الأوروبية ذات أهمية حيوية للملايو بشكل عام، لأنها تمثل أول حضور أوروبي منظم ومباشر في محيط الإقليم، بسبب طبيعة العلاقة الاقتصادية التي ولّدتها، لاسيما بعد التوسع البريطاني في المناطق الداخلية، ومن الأهمية التأكيد من طبيعة القوى الاجتماعية التي ولّدتها ونمط العلاقات "العرقية" التي تطورت خلال فترة الاستعمار البريطاني، وطبيعة السياسة التجارية الاحتكارية التي شجعت الهجرة الصينية إلى ملقا وشبه جزيرة الملايو (Lee, 1960, p.3).

كان للاستعمار الأوروبي والبريطاني بشكل خاص اثر كبير في الترويج لمبدأ التفوق العرقي، ثم بدأ التمرکز حول العرق الابيض، وكانت البداية العنصرية للتفوق العرقي، ثم جاءت حركات التحرر لتهذيب هذا المبدأ وفق معطيات العصر الحديث لاسيما بعد ظهور ثقافة العولمة والمركزية الغربية كنهج سياسي مؤثر في عالمنا المعاصر (بوقرة، 2023، ص167).

ناقش احد الباحثين اتهام الملايو بالكل، وأكد بانه ليس كسلا فعليا بقدر ما كان بسبب رفضهم العمل كعمال في مزارع الآخرين، وقد شكل هذا الموقف من جانب الملايو معضلةً جديّةً للبريطانيين في ظل منافستهم للصينيين، الذين كانوا يستقدمون العمالة الصينية من الصين عبر أساليب خادعة، ففي الربع الاخير من القرن التاسع عشر، واجه البريطانيون نقصاً في العمالة نتيجةً هذا الرفض (Alatas, 1977, p.79).

دعا " تقرير سونغي أوجونغ (Sungei Ujong Report) " الصادر عام 1882 إلى الاستعانة بالعمالة التاميلية بدلاً من عمالة الملايو، حيث جاء فيه: "لا حاجة لأي شيء سوى العمالة التاميلية، لقد بذل المزارعون هنا جهوداً كبيرة للاستفادة من عمالة الملايو، وتوافدت أعداد كبيرة من العمال (الكولي) من المزارع الصغيرة المجاورة طلباً للعمل في منطقتي 'بانيتاي' و'رانتاو'، غير أن هذه العمالة باهظة التكلفة وغير مضمونة" (Alatas, 1977)، والكولي هم العمال الصينيون الذين يعملون بدون أجر فقط لأجل الطعام، وكانت تسمى تجارة الخنازير. (شكر، 2025، ص122).

كانت مشكلة العمالة مؤرقة للبريطانيين ولذلك فضلوا استقدام عمال من الهند، لأن سكان حسب الرؤية البريطانية لن يعملوا إلا لأنفسهم، ويفضل الصينيون العمل كارباب عمل وتجار وصناعيين والتعامل معهم ليس سهلاً، وهكذا كانت الرؤية هي الحاكمة للسياسة البريطانية فيما بعد.

من الواضح أن الأصل الاجتماعي لأسطورة كسل الملايو كان قائماً على رفضهم العمل في مزارع غيرهم، وعدم مشاركتهم في النشاط الاقتصادي الرأسمالي الحضري الخاضع للسيطرة الاستعمارية، هذه الصورة انتشرت وأصبحت نظرية سائدة وغزت عقول الصحفيين، والمعلمين، والمؤلفين الزائرين والموظفين الحكوميين، والتجار، ورجال الأعمال وغيرهم (Alatas, 1977, p.80).

أدى استبعاد الملايو من القطاعات الاقتصادية الداخلة حديثاً إلى تغير طبيعة التكوينات الاجتماعية حيث تركز المهاجرون البريطانيون والجاليات الصينية والهندية في القطاعات الاقتصادية الحديثة، والتي تمثلت في تخصص الهنود بتقطيع المطاط في المزارع المخصصة والمعدة والمهيأة من البريطانيين، فيما تخصص الصينيين بالعمل كعمال وحرفيين وفنيين في مناجم القصدير (Cowan, 1961, p.169).

الجاليات الجديدة (الصينية والهندية) عملوا في قطاعي الصناعة والخدمات وتركزوا في المناطق الحضرية، ولكنهم تفاعلوا قليلاً جداً مع سكان الملايو والمجتمعات الأخرى، وبقي تركيز الملايو الأصليين في الزراعة، وهكذا فإن الاختلافات الثقافية بشكلها الطبيعي برزت من خلال التمايز في الأنشطة الاقتصادية، واستلزم التشغيل الفعال لصناعات القصدير والمطاط رقابة سياسية صارمة وإدخال المؤسسات المناسبة لتسهيل الاستثمار الرأسمالي عملت هذه العوامل على إنشاء هيكل طبقي جديد في القطاع الاقتصادي الحديث، واثرت بشكل كبير على البنية الاجتماعية التي أصبحت مؤيدة للاستعمار واثرت على مجتمع الملايو الأصلي، ونتيجة لذلك أعيد تصنيف البنية الطبقية الإقطاعية للمجتمع الأصلي من خلال الحكم غير المباشر، في حين ظهر في بداية صناعات القصدير والمطاط بنية أساسية لطبقة رأسماليين الذين يتحكمون في وسائل الإنتاج يبيعونهم العمل مقابل أجر (Manasse, 1947, pp.191-194).

من أكثر الأفكار وضوحاً في كتاب (معضلة الملايو The Malay Dilemma) لمهاير محمد بأن الملايو هم السكان الأصليون لأرض الملايو وأصحاب البلاد الأصليين، وأن وجود الجماعات المهاجرة، ولا سيما الصينيين والهنود، ارتبط بصورة كبيرة بالتطورات التي شهدتها الملايو خلال الحقبة الاستعمارية، ووصف الملايو بأنهم المالكون الشرعيون لأرض الملايو، وهذه الفكرة مهمة جداً لفهم موقفه من الإثنية والاستعمار البريطاني، لأنه لم يكن ينظر إلى التعدد السكاني باعتباره ظاهرة طبيعية منفصلة عن التاريخ، بل ربطه بالتطورات الاستعمارية والهجرة الاقتصادية (Mohamad, 2010, p.74).

ثانياً: مستعمرات المضيق

مستعمرات المضيق (انظر الملحق رقم 1) (Straits Settlements)، هي مجموعة مستعمرات أسستها شركة الهند الشرقية الانكليزية (English East India Company) سنة 1826 في بلاد الملايو، ثم تحولت تحت سلطة التاج البريطاني سنة 1867، وتم حلها سنة 1946، وتواجدت هذه المستعمرات في كل من ملقا وبينانج وسنغافورة (Turnbull, 1972, pp.1-5).

المعلومات عن شركة الهند الشرقية الانكليزية انها تأسست في 13 / 12 / 1600، بمرسوم من ملكة انكلترا اليزابيث الاولى (Elizabeth 1)، والغاية منها هو احتكار لتجارة التوابل واحتلال عسكري وفرض سيطرة سياسية لاسيما في الشرق (شكر، 2025، ص122).

كانت مجتمعات الملايو الأصلية خاضعة لولاية هولندا القضائية، ولذلك خسر التجار الأصليون تجارتهم في كثير من الاحيان وادى ذلك الى انخفاض عدد السكان، والنتيجة المباشرة للانحدار التجاري وفقدان السلطة والهيبة من جانب الأرستقراطية المحلية، بعد عمليات القرصنة والتي كانت بسبب الاحتكار التجاري المرتبط بالأوروبيين لاسيما الهولنديين (Tarling, 1962, p.76).

فإن سياسات الاحتكار التجاري الهولندية دفعت ولايات الملايو إلى تأكيد استقلاليتها من خلال التعامل المباشر في تجارة القصدير مع التجار الأجانب، ونتيجة لذلك، تضرر اقتصاد ملقا بشكل كبير وتحولت مسارات تجارة القصدير فعلياً بحلول عام 1790 لصالح البريطانيين في بينانج، الذين نجحوا في الاستحواذ على معظم حركة التجارة في المنطقة، على العكس من سياسة البرتغاليين والهولنديين الذين اكتفوا بالتعامل المباشر مع حكام الولايات ولم يسعوا إلى تأسيس إمبراطورية، وبشكل عام، فإن استقرار الدول الأوروبية في ملقا واحتكارها للتجارة في المنطقة كان له تداعيات مهمة على الجوانب الاجتماعية (Khuo, 1972, p.53).

تأثر اقتصاد ملقا أكثر بعد ان أسس البريطانيون ميناء بينانج عام 1876، وتمكنوا من الاستيلاء على معظم تجارة المنطقة بسياسة دبلوماسية ناعمة ومؤثرة.

كانت شركة الهند الشرقية قد استحوذت على جزيرة بينانج لتكون قاعدة لحماية تجارتها المتنامية بسرعة مع الصين، ومركزاً لتجميع منتجات المنطقة - القادمة من شبه جزيرة الملايو والأرخبيل الشرقي - تمهيداً لشحنها إلى الصين، ورغم ترقية وضع بينانج إلى مستوى "رئاسة" (إدارية) في عام 1805، إلا أنها شكلت خيبة أمل مكلفة للشركة، وخضعت (بعد انتهاء الحروب النابليونية عام 1815) لسلسلة من تدابير التقشف وخفض النفقات (Khoo, 1972).

شهدت الفترة من 1786 إلى 1825 تأسيس موطئ قدم بريطاني في بلاد الملايو مع تأمين جزيرتي بينانج وسنغافورة من ولايتي كيدا وجوهور والاستحواذ النهائي على ملقا عام 1825 من الهولنديين، وتنافست بريطانيا مع هولندا على مناطق الملايو (الخليلي، 2014، ص.23).

انعكس ذلك على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، وهذا التنافس امتد لمناطق الملايو المجاورة، مثل مدينة ملقا التي تأثر اقتصادها بسياسة هولندا، على الرغم من الطلب المتزايد على منتجات الملايو، وخاصة القصدير، لم يكن لدى الهولنديين أي تعاملات مباشرة، سواء اقتصادياً أو سياسياً، مع حكام ولايات الملايو، والسبب في ذلك لم تكن ترغب بإنشاء إمبراطورية.

تدخل البريطانيون بحجة إنهاء الاضطرابات الناجمة عن الصراعات الداخلية بين عائلات الملايو الحاكمة المتنافسة، والفصائل المتنافسة المرتبطة بزعماء مختلفين، والجمعيات السرية الصينية، بدافع الرغبة في حماية مصالحها الاقتصادية، خاصة صناعة تعدين القصدير المزدهرة (Abdul Hamid, 2007, p.373).

عندما استحوذت شركة الهند الشرقية الانكليزية على مستوطنات المضيق المختلفة، كانت ملقا هي الجزيرة الوحيدة المأهولة بالسكان، أما بينانج وسنغافورة فكانتا جزيرتين شبه مهجورتين، بينما كانت مقاطعة ويسلي منطقة برية قليلة السكان، وللحصول على العمالة ورأس المال والتنمية، كان على مستوطنات المضيق الاعتماد على المهاجرين القادمين من ولايات الملايو والأرخبيل الشرقي، ومن الصين والهند والشرق الأوسط وأوروبا، وكانت رؤوس الاموال توفر بشكل رئيسي من الأوروبيين والعرب واليهود والفرنسيين، بينما العمالة في الغالب من الهنود والصينيين، في حين أن معظم العمليات الزراعية والتعدينية في مستوطنات المضيق، كان يُنظمها رواد أعمال صينيون، بدعم مالي من الأوروبيين (Turnbull, 1972, p.7).

انتهجت بريطانيا سياسة عدم التدخل السياسي في الولايات الملايوية الواقعة خارج نطاق مستوطنات المضيق حتى عام 1873، ولم تكن لها أي نية للانخراط في شؤون شبه الجزيرة، غير أن هذه السياسة تغيرت مع إبرام "اتفاقية بانغكور" (Pangkor Engagement) عام 1874، التي مثلت بداية الحكم البريطاني غير المباشر في ولايات الملايو (Zakariya, 2019, p.69).

بموجب بنود الاتفاقية، ظل الحاكم الملايو رئيساً للدولة، لكنه كان ملزماً بقبول مشورة مسؤول بريطاني يُعرف بـ "المقيم (Resident)" في جميع شؤون الإدارة والحكم. كما نصت الاتفاقية على عدم تدخل البريطانيين في الشؤون المتعلقة بالعادات والدين لدى الملايو (Zakariya, 2019). في غضون فترة قصيرة من خمسين عاماً، أصبحت الممتلكات الإقليمية البريطانية لتشمل مناطق تعد استراتيجية عسكرية للدفاع عن المصالح البريطانية (Mills, 1925, p.19)، وحماية طرق التجارة المتجهة إلى الصين من الهند (تصدير واستيراد الأفيون)، ولتأمين رابط تجاري لمنتجات أرخبيل الملايو (Cowan, 1961, p.4).

زار رافلز كلكتا عام 1818 ونجح في إقناع الحاكم العام في الهند بضرورة تأمين الطريق إلى الصين، وحصل على إذن لاتخاذ ترتيبات لحماية الطرفين الشمالي والجنوبي لمضيق ملقا، شريطة ألا يجر الشركة إلى صراع مع السلطات الهولندية، وعندما اكتشف رافلز أن الهولنديين قد سبقوه إلى رياو، أنشأ مركزاً تجارياً في جزيرة سنغافورة في كانون الثاني 1819، وعقد معاهدة مع سلطان آتشيه في شمال سومطرة (Turnbull, 1972, p.3).

أصبحت الاحتجاجات الهولندية على تأسيس المحطة البريطانية في سنغافورة بنداً في المفاوضات البريطانية الهولندية المطولة للتوصل إلى تسوية إقليمية وتجارية شاملة في الشرق، وهي المفاوضات التي توجت بمعاهدة لندن في آذار 1824، حيث اعترفت بريطانيا وهولندا بمناطق نفوذ كل منهما المستقلة. (Turnbull, 1972, p.4)

اختلفت سياسة بريطانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر اختلافاً جوهرياً في طبيعتها وأهدافها عن سياستها في الربع الأول منه، حيث انعكس تفوق بريطانيا التكنولوجي والعسكري على القوى الأوروبية الأخرى، من خلال سياستها المركزية والمتعالية في التعامل، بعد الاعتقاد بالتفوق الثقافي والعنصري على جميع الأعراق والشعوب الأخرى.

ثالثاً: فرانسيس لايت (Francis Light) (Clodd, 1948) مؤسس بينانج

خدم لايت في البحرية الملكية البريطانية في الفترة ما بين عامي 1759-1763، وانشأ رابطاً مباشراً بين طبيعة الأنشطة الاقتصادية المطلوبة ونوعية الأشخاص القادرين، فالمزارع من الملايو قليل الفعالية في الأنشطة التجارية والصناعية، لأنهم مكتفين بأعمال لا تتطلب الكثير من الجهد، فيما صنف لايت الصينيين بانهم أقل شجاعة، لأنهم غرباء وهذا يجعلهم يتحملون الكثير من التبعات قبل أن يفكروا بالتمرد أو معاداة بريطانيا، ولذلك اتبعوا سياسة الصبر واللين بدلاً من القوة والعنف، ومع ذلك فقد اكد على الحذر منهم، وهذا التصنيف الذي ثبته لايت راعى فيه الخصائص العرقية لشعب الملايو (Clodd, 1948, p.56).

ساهم فرانسيس لايت في الممارسات الاستعمارية ذات التأثير العرقي، ويتضح ذلك عندما أرسل إلى الحاكم العام للبنغال عام 1794، وقدم فكرة تحيزه تجاه الأشخاص الذين شكلوا مجتمع بينانج، حيث اقترح نظامًا لإقامة العدل، واعتمد إجراءات قضائية لفض "النزاعات التجارية" و"الخلافات الإقليمية" والشكاوى المتعلقة بالنظام العام، ومن الأسباب التي ساقها لايت لهذه الإجراءات، الحفاظ على السلام بين هذه القبائل المختلفة، وتسوية نزاعاتها، ومنع تدمير بعضها البعض (Clodd, 1948, pp.96-103).

برزت الحاجة إلى ميناء تتوقف فيه سفن شركة الهند الشرقية المتجهة إلى الصين أو العائدة منها، ويتطلب ذلك أيضًا إلى مركز أو إلى قاعدة توفر السلع التي تقبل الصين مبادلتها بالشاي مثل القصدير والفلل وذلك عام 1784، و من أجل تعزيز التجارة المحلية، ظل لايت متمسكًا بفكر تاجير جزيرة بينانج، وفي العام التالي اتفق لايت مع سلطان كيدا (ولاية قدح) على تاجير الجزيرة بوثائق رسمية موقعة، لصالح شركة الهند الشرقية، وذلك بشرط أن تقدم الشركة له الدعم بالاموال والسلاح ضد هجمات الاعداء (Winstedt, 1966, p.53).

شجع لايت هجرة الصينيين معتبراً إياهم "الشعب الوحيد في الشرق الذي يمكن تحصيل إيرادات منه دون تكبد نفقات أو بذل جهود حكومية استثنائية"، وكانت هناك جالية صينية مزدهرة في ولاية قدح (Kedah)، خرج من صفوفها القادة الأوائل للصينيين في بينانج ومنهم الزعيم أو "كابيتان الصين" (Kapitan China) "كوه لاي هوان" (Koh Lay Huan)، وهو رجل ثري ومتعلم كان قد ثار سابقاً ضد سلالة المانشو وفرّ إلى قدح، ثم استقر في بينانج كتاجر ومزارع ومتعهد لجمع الضرائب، توفي عام 1826 وخلفه ابنه الأكبر، "كوه كوك تشاي" (Koh Kok Chye) كان يتمتع بعلاقات ودية للغاية مع المسؤولين والتجار الأوروبيين (Turnbull, 1972, p.9).

الملايو مزارعين أبا عن جد، ولم ينخرطوا في أنشطة اقتصادية كالتجارة أو المهن الحرفية أو التجارة وحتى في المتاجر الصغيرة، وهي أنشطة من شأنها أن تسهم في ازدهار بينانج ولكنهم لزالو غير مستوعبين للتغيرات والتحولات الاقتصادية وطبيعتها، في حين يمتلك الصينيون مهنية عالية وفعاليات نشطة وقدرات كبيرة.

أبدى لايت الكثير من الحنكة في إدارة المستعمرة، وثبت فكرة ضرورة إدارة الجماعات العرقية المختلفة من خلال قاداتها والوجهاء المعروفين، وأمن أيضًا بضرورة إدارة الجماعات العرقية بشكل منفصل بعضها عن بعض، لان المصالح بينها متعارضة، وتشير ملاحظات لايت أيضًا إلى أن تجارة بينانج كانت مرتبطة بالمناطق الداخلية منذ نشأتها تقريبًا، وأن المستوطنة الجديدة تمكنت من جذب التجارة بعيدًا عن ملقا بسبب الممارسات الاحتكارية الهولندية (Clodd, 1948, p.56).

كان الهدف الأساسي من إنشاء المستوطنة البريطانية بينانج هو تأمين تجارة المنطقة، وقد تم التركيز على بعض الجماعات العرقية والتي كانت اقرب للمصالح البريطانية، وهذه الجماعات لم تكن فقط أعلى مرتبة نسبياً من غيرها، وشجعتها بريطانيا على لعب دور اقتصادي أكبر في مراحل لاحقة. حاول فرانسيس لايت الحصول على موافقة شركة الهند الشرقية لتأمين بينانج، من خلال تحذيره بامتلاكها من الهولنديين قد يستبعد بريطانيا بشكل دائم من التجارة في المضيق، وذكر كلود في مقدمة دراسته لمسيرة لايت (Mills, 1925, pp.23-25) : " لم يقطع هذا العمل الجريء (تأمين بينانج) الطريق أمام المزيد من المشاريع الهولندية فحسب، بل شكّل رأس حربة ضد الانتشار التدريجي للهولنديين، كان تأسيس رافلز لسنغافورة مرتبطاً أيضاً بمطالبة هولندية محتملة بجوهور، ومن خلال تأمين هاتين المستوطنتين، كان البريطانيون مدفوعين في المقام الأول بمصالح تجارية مع الصين وفي الأرخيل" (Cowan, 1961, pp.4-5).

قارن لايت بين طبيعة النشاط الاقتصادي وخصائص الأشخاص في المجتمع، فنظر إلى الملايو بانهم بارعون في الزراعة فقط " أنشطة لا تتطلب الكثير من الجهد". من هنا بدأ عمله في ادخال الخصائص "العرقية" للشعوب بعين الاعتبار عند حكمها ، أما شعب "البوجيس" (Buggess) ولأنهم "سريعو الغضب وميالون للانتقام" فمن الأفضل "حكمهم من خلال النصح الصبور واللين بدلاً من القوة، وينبغي حكمهم بحذر، وتُظهر هذه الأوصاف الموجزة الرؤية الواضحة التي امتلكها لايت بشأن الخصائص العرقية للشعوب التي تعامل معها، ولم يكتفِ بالاعتقاد بضرورة إدارة المجموعات "العرقية" المختلفة من خلال قادتها فحسب، بل رأى أيضاً أن مصالح هذه المجموعات ما لم تُدر بشكل جيد قد تؤدي إلى الدمار (Clodd, 1948, p.57).

رابعاً : ستامفورد رافلز (Stamford Raffles) مؤسس سنغافورة

اقنع رافلز شركة الهند الشرقية وكذلك الحكومة البريطانية بضرورة التوجه نحو مناطق أخرى في بلاد الملايو، حيث كان مقتنعاً تماماً بأنه مشروع لتأسيس نفوذ بريطاني في هذه المناطق على المدى الطويل، وقد أعطى استحواذ لايت على بينانج بطريقته الخاصة والمقنعة الفرصة لستامفورد رافلز لتأمين سنغافورة في عام 1819 مما أدى إلى توسع النفوذ البريطاني لاحقاً في جميع أنحاء شبه جزيرة الملايو (Noltie, 2009).

كشفت رسالة (انظر الملحق رقم 2) من رافلز الى صديقه تايلور معاناته مع رئيسه في موضوع سنغافورة حيث يعبر عن إحباطه جراء تقويض مكانته من قبل رئيسه، العقيد جون ألكسندر بانرمان حاكم بينانج الذي كان عازماً على إبقاء القيادة تحت سيطرته مهما كلف الأمر، وقد أكدت شكاوى رافلز حدة المنافسة بين المركزين التجاريين البريطانيين في كل من سنغافورة وبينانج ، وقد كُتبت هذه الرسالة خلال زيارة

رافلز الثانية لسنغافورة، بعد بضعة أشهر من نجاحه في توقيع معاهدة مع السلطان حسين شاه (سلطان جوهور) وتيمينغونغ عبد الرحمن في 6 فبراير 1819، بهدف إنشاء مركز بريطاني في سنغافورة (Raffles, 1819).

وصف رافلز سكان ملقا بأنهم مجتهدون ويتمتعون بالاستقلال، على عكس سكان بينانج كانوا مستقرين، وكان لديهم مؤسساتهم الاجتماعية والاقتصادية الخاصة، التي يمكن أن تصمد أمام نوع التأثيرات الناتجة عن الوجود التجاري الأوروبي (Edgerton, 1897, pp.21-22).

سياسات رافلز تعمقت في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية، ولا سيما دراسة لغة الملايو وعاداتهم وكان هذا اهتماماً نادراً بين مسؤولي شركة الهند الشرقية خلال هذه الفترة، لقد أعطاه ميزة على الآخرين على أساس معرفته بطبيعة التفكير لشعب الملايو (Clodd, 1948, p.41).

من الواضح أن رافلز كان يعتقد أن هذه "المهمة الحضارية" قد عُهد بها إلى بريطانيا، وأنه لا توجد أمة أخرى تمتلك الوسائل التي تمكنها من ذلك.

أهتم رافلز بالبنية الاجتماعية لمستوطنات المضيق، لا سيما بينانج وسنغافورة، لأنها متعددة الأعراق، ففيها الملايو المستقرين، ومجتمع صيني يعود تاريخه إلى أيام سلطنة ملقا، عرفوا بأسم "بابا"، وهم منتشرين في مستوطنات أخرى، ومع توطيد الحكم البريطاني كان الاهتمام بالصينيين بشكل أكبر، ومن الملاحظ أن نمط زواج البابا الأوائل من نساء الملايو المحليات كان موجوداً بمعنى الاختلاط كان طبيعياً دون تعقيدات دينية أو ثقافية، لكن معدل الزواج المختلط هذا تباطأ بعد فرض الحكم البريطاني (Png, 1969, pp.95-114).

أدى رافلز دوراً محورياً في التخطيط للاستيلاء على جزيرة جاوة من الهولنديين، وسرعان ما عُيّن نائباً لحاكم جاوة والمناطق التابعة لها، ليصبح بمثابة "ملك غير متوج" وحاكم مطلق لنحو خمسة ملايين نسمة، لم يلبث أن قلّص سلطات الأمراء المحليين وأعاد تنظيم الإدارة، كما اشتهر بموقفه الليبرالي تجاه الشعوب الخاضعة للحكم الاستعماري، وإبرائيه دعائم حكم ذاتي جزئي، وبأبحاثه حول معبد "بوروبودور" المهيّب وغيره من الآثار القديمة، فضلاً عن شغفه بجمع طائفة واسعة من المعلومات التاريخية والعلمية القيمة (Prosper, n.d).

اقترح رافلز بنقل الكلية الأنجلو-صينية من ملقا إلى سنغافورة، والهدف الرئيسي هو تنصير الصينيين، والتعليم افضل وسيلة، كما كان من المقرر إنشاء كلية للملايو خاصة بموجب مقترحات رافلز، وكان هدفها الأساسي تعليم أبناء الطبقة العليا من السكان الأصليين وغيرهم (Png, 1969).

مقترحات رافلز بشأن التعليم تعزز رؤيته الخاصة في طبيعة حكمه وطريقة ادارته للعلاقات الأتنية في مناطق الملايو، إذ كان يعمل فعلياً على إنشاء طبقة متعلمة على الطريقة البريطانية متأثرة بالثقافة

والعادات وحتى الدين، ولا يقتصر تأثيرها على القيم والعادات والتقاليد ومسح الهوية المحلية وتقاربها مع الطبقة الحاكمة الإنكليزية وإنما ستكون أداة في التحكم المستقبلي لبريطانيا.

استمر رافلز بطريقة الحكم غير المباشر لمناطق الملايو، وهو الأسلوب الذي مارسه بريطانيا في ولايات الملايو وفي أماكن أخرى من العالم، ومن خلال هذه الطريقة تم إدخال الإصلاح الإداري، والمتمثل في إشراك الفئات الاجتماعية المختلفة عرقياً، وذلك بتقسيم الأدوار الاقتصادية بين فئات المجتمع في ظل النظام الرأسمالي (Alatas, 1971, p.4).

يبدو أن رافلز قد ركز على المجتمع التجاري والرأسمالي بشكل أكبر، واعتبرهم طبقات عليا وأكثر احتراماً، وكان يفصل بشكل واضح بين مصالح هذه الفئة ومصالح الطبقات الأخرى وعاملهم معاملة الأقل أهمية وكان لهذه السياسة تبعات اجتماعية واقتصادية كبيرة فيما بعد.

من الواضح أن البنية الاجتماعية لمستوطنات المضيق لاسيما (بينانج وسنغافورة)، التي أسسها البريطانيون كانت وفق مبدأ تعدد الأعراق والمشاركة الأثنية والتوزيع الاقتصادي، ولذلك عند إجراء مقارنات مع البنية الاجتماعية لملايكا العريقة، نجد الاختلاف الكبير الذي نتج عن التدخل البريطاني في زرع بذور الأثنية في مناطق الملايو، حيث كان الملايو الأصليين يعيشون مستقرين مع جالية صينية تعود إلى عهد سلطنة ملايكا الإسلامية وأن أقدم السكان الصينيين في ملايكا كانوا يُعرفون باسم "البابا" أو "الباباس" (Png, 1969, pp.95-114).

كان لايت ورافلز يحظيان بتقدير كبير من قبل حكام الملايو الذين تعاملوا معهم بكل ثقة، حيث تم الحصول على كل من بينانج وسنغافورة من خلال الدبلوماسية في مواجهة التنافس الهولندي، كان من الممكن أن يكون هذا مستحيلاً إلى حد ما دون فهم عميق للأشخاص الذين كانوا يتعاملون معهم، وبادروا بسياسة الهيمنة والسيطرة من خلال الدبلوماسية بدلاً من القوة (Clodd, 1948, p.48).

لم تكن هناك روابط تجارية تربط الشخصيات الصينية المتميزة والذين يطلق عليهم الباباس في ملايكا مع مصالح اقتصادية أجنبية، ولذلك تعلموا لغة الملايو من أجل مسايرة مصالحهم وعلاقاتهم التجارية والاجتماعية مع السكان الأصليين، وفيما بعد طور الباباس لغتهم الخاصة التي كانت أقرب إلى الملايو، ووصفت هذه اللغة، بشكل ملحوظ، بأنها "لغة الأعمال في شبه جزيرة الملايو" (Tan, n.d).

على ضوء ما تقدم ممكن القول أن الأساليب البريطانية لزراعة الانقسام تتلخص بالاتي:

- التهجير واستقطاب عمال: هجرت بريطانيا مئات الآلاف من العمال الهنود والصينيين (التاميل جزء من الهنود) للعمل في مناجم القصدير ومزارع المطاط، مما غير الديموغرافيا بشكل جذري.
- الفصل الأثني والاقتصادي: ربطت بريطانيا الأثنية بالوظيفة والموقع الجغرافي لضمان عدم اندماج المجموعات حيث أبقت الملايو في الريف لممارسة الزراعة التقليدية وصيد الأسماك، وركزت

العمل مع الصينيون في المدن والمناطق الحضرية للعمل في التجارة ومناجم القصدير، اما الهنود (التاميل خصوصاً) عُرِلوا في مزارع المطاط (المقاطعات الكبيرة) كعمالة مأجورة.

- التعليم النمطي المنفصل: أنشأت بريطانيا أربعة أنظمة تعليمية منفصلة بلغات مختلفة (ملايو، صيني، هندي، وإنكليزي)، وقد منع هذا التقارب الثقافي واللغوي بين الأثنيات.
- تفتيت النفوذ السياسي: أبقت بريطانيا على سلاطين الملايو كرموز دينية وثقافية لحكم الولايات، بينما احتفظت بالسلطة الإدارية والاقتصادية الفعلية للمستشارين البريطانيين.
- لايت ورافلز: أسسا مدينة ودولة في ظل سياسات راعية لمصالح بريطانيا وأفادت سياسيا واقتصاديا ولكنها سياسات مضرّة اجتماعيا وزرعت بذور الأثنية التي لا زالت مجتمعات الملايو تعاني منها الى اليوم.

الاستنتاجات

لعل من الاستنتاجات المهمة في هذه الدراسة وقبل كل شيء هو الدور السلبي للاستعمار البريطاني لمناطق الملايو، ويمكن تفصيلها بالشكل الآتي:

- ادخال الانقسام العرقي والتفكير العنصري إلى أجزاء واسعة من بلاد الملايو.
- خلق المناخات المؤدية الى التصارع الاجتماعي.
- فرض أنظمة ادارية وتنظيمات اجتماعية مهدت للتفرقة الأثنية والتعصب العنصري في اللون والعرق والمكانة الاجتماعية والقدرات الاقتصادية.
- بالمقارنة مع طريقة اداء الاستعمار البريطاني في مناطق اخرى مثل أفريقيا، نجد ان الاستعمار قائم على اساس اللون الاوربي الابيض متقدم في كل شيء على الأفارقة السود، كانت سياسة واضحة وعلنية، ومن ذلك يمكن الاستنتاج بأن حالة الملايو تتميز بغياب السياسات التمييزية القائمة على معيار اللون وحده، انما اضيف اليها العرق والعمل الاقتصادي والمشاركة السياسية والنظام الاداري.
- مارست الإدارة الاستعمارية دور الوصاية على الملايو، ونتيجة الترابط مع حكام الملايو كانت وسيلةً لتعزيز مصالح القوة الاستعمارية نفسها بدلاً من الارتقاء بالوضع الاجتماعي والاقتصادي للملايو.
- السياسات الاستعمارية البريطانية تحمل دلالات عنصرية واضحة، لأنها ميّزت الصينيين والهنود كأعراق، والملايو كسكان اقل ثقافة واقل مهارة، فخلقت اجواء تخدم مصالحها.
- برزت الاشارات الأثنية في خطابات المؤسسين لايت ورافلز، على الرغم من الامكانات الادارية والقيادية، لكنهم مارسوا دورا مؤثرا سلبيا في المجتمع، من الطبيعي ان يحسب لهم الانجازات الاقتصادية والعمرانية ولكنهم فشلوا فشلا ذريعا في خلق اجواء اجتماعية مستقرة ومستديمة.
- لا شك ان السياسة البريطانية قد حققت انجازات كبيرة من جوانب عديدة جغرافية واقتصادية

وسياسية وأحدثت أيضا نهضة عمرانية لمناطق غير مأهولة سابقا وليست ذات أهمية مثل بينانج وسنغافورة، ولكنهم اتخذوا طريق غير اخلاقي بالتمييز المفرط لفئات المجتمع، ومن هنا أنتجت تلك السياسة النزاعات الإثنية المجتمعية المستمرة الى الوقت الحاضر.

الملاحق

ملحق رقم (1)



Source: Map of South East Asia from the University of Texas

Libraries,

http://www.lib.utexas.edu/maps/middle_east_and_asia/southeast_asia_po

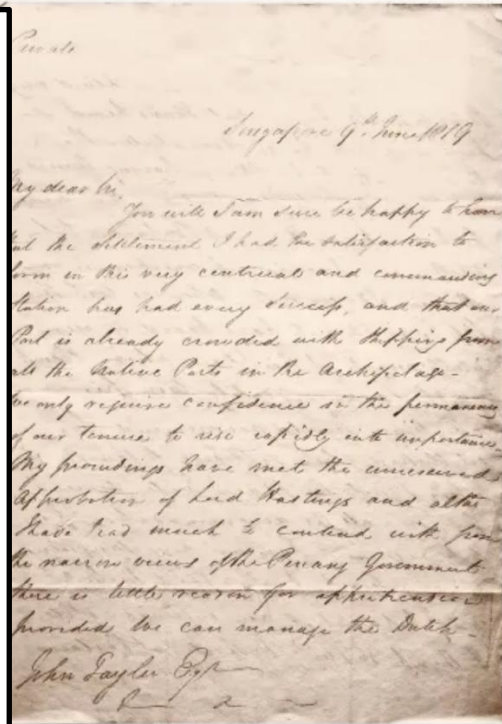
.I_2003.jpg (accessed 6 Feb 2017)

المصدر: خريطة جنوب شرق آسيا من مكتبات جامعة تكساس، تم الوصول إليها في 6 فبراير 2017، ونقلت من :

Winston Ghee Wei Toh, The Contested Development of Nationalism in Colonial Malaya (1930 – 1955), Thesis, Department of History, Columbia University in the City of New York

ملحق رقم (2)

تتميز هذه الرسالة المكتوبة بخط اليد بكونها غير مألوفة بعض الشيء، إذ تكشف عن أفكار رافلز الخاصة لصديق مقرب، وتقدم رؤيته المباشرة للتنافس بين البريطانيين والهولنديين في أرخبيل الملايو. في الرسالة، يعرب رافلز عن استيائه من تقويض سلطته من قبل رئيسه المباشر، العقيد جون ألكسندر باترمان، حاكم بينانج، الذي كان مصمماً على إبقاء قيادة بينانج تحت سيطرته بأي ثمن. وقد أكدت شكاوى رافلز على حدة المنافسة بين المركزين التجاريين البريطانيين في سنغافورة وبينانج. وبإصراره على بينانج، حرم باترمان رافلز فعلياً من طموحه في تطوير مسيرته المهنية في الشرق الأقصى. تمت كتابة الرسالة خلال زيارة رافلز الثانية إلى سنغافورة من مايو إلى يونيو 1819، بعد بضعة أشهر من توقيع بنجاح معاهدة مع السلطان حسين شاه من جوهور وتيمينغونغ عبد الرحمن في 6 فبراير 1819 لإنشاء مركز بريطاني في سنغافورة.



This is the first letter by Stamford Raffles acquired by the National Library in 1987. Dated 9 June 1819, the letter was addressed to John Tayler, his business agent and friend. Image source: National Library Board, Singapore

هذه هي الرسالة الأولى لـ "ستامفورد رافلز" التي حصلت عليها المكتبة الوطنية السنغافورية عام 1987.

تحمل الرسالة تاريخ 9 يونيو 1819، موجهة إلى جون تايلر، وكيله التجاري وصديقه.

مصدر الصورة: مجلس المكتبة الوطنية، سنغافورة.

Source: <https://biblioasia.nlb.gov.sg/all-sections/vol-11-issue-4-jan-mar-2016-letter-stamford-raffles-john-tayler/>

المصادر

أولاً : المصادر العربية

1. إبراهيم، سعد الدين، (1994)، الملل والنحل والاعراق: هموم الاقليات في الوطن العربي، مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، القاهرة.
2. إبراهيم، سعد الدين. (1992). ، تأملات في مسألة الاقليات ، دار سعاد الصباح.
3. بوقرة، عبد المجيد. (2023). التنوع العرقي والتنمية في دولة ما بعد الاستعمار: تجربة ماليزيا أنموذجاً ، مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والانسانسة ، 3/22.
4. دايش، جاسم محمد، . (2021). مفهوم الإثنية... تأملات وتصورات. الحوار المتمدن، العدد 7072 .
<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=737142>
5. شايب، بشير. (2016). مفهوم الأقلية والإثنية. جامعة 20 أوت 1955-سكيدة .
https://www.researchgate.net/publication/308961694_mfhwm_alaqlyt_walathnyt
6. عبد الستار، خالد عبد الله. (2015). مفهوم الإثنية في الفكر السياسي الأمريكي المعاصر: جيرى مولر أنموذجاً. عدد 50، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد..
7. الخليلى، ماهر جبار محمد علي. (2014). مهاتير محمد ودوره في تحديث ماليزيا (1969-1991)، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم التاريخ.
8. شكر، صفاء كريم، (2025)، محاضرات في تاريخ اسيا الحديث والمعاصر، الجامعة المستنصرية، قطر الندى للنشر،.
9. الهيازي، كاظم جواد أحمد، (2015). سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الملايو (ماليزيا) 1945-1981 ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية للعلوم الإنسانية ابن رشد .

ثانياً : المصادر الاجنبية

- 1) Abrahan, Collin E. R, (1987), Race Belaticos in West Malaysia with Special Reference to modern Political and Economic Development, ISIS (MALAYSIA), A Thesis Presented in Kichaelnas Term 1976, to the Faculty of Anthropology and Geography in the University of Oxford, p.2.

- 2) Abdul Hamid, A. F. (2007). Malay anti-colonialism in British Malaya: A re-appraisal of independence fighters of Peninsular Malaysia. *Journal of Asian and African Studies*, 42(5), 371–398. <https://doi.org/10.1177/0021909607081115>.
- 3) Alatas, S. H. (1971). *Thomas Stamford Raffles, 1781–1826: Schemer or reformer*. Angus & Robertson.
- 4) Alatas, S. H. (1977). *The myth of the lazy native*. Frank Cass and Company Limited.
- 5) Allen, G. C., & Donnithorne, A. G. (1957). *Western enterprises in Indonesia and Malaya*. Routledge.
- 6) Clodd, H. P. (1948). *Malaya's first British pioneer: The life of Francis Light*. Luzac.
- 7) Cowan, C. D. (1961). *Nineteenth century Malaya: The origins of British political control*. London.
- 8) Edgerton, H. E. (1897). *Sir Stamford Raffles: England in the Far East*. London.
- 9) *Encyclopedia Britannica*, (1992), Chicago: *Encyclopedia Britannica*, 15th Edition, Vol 4.
- 10) Khoo, K. K. (1972). *The Western Malay states: The effect of commercial development on Malay politics (1850–1855)*. Kuala Lumpur.
- 11) Lee, Y. H. (1960). *A history of the Straits Chinese British Association (1900–1959)* [B.A. thesis, University of Singapore].
- 12) Mahathir Mohamad. (1998, October 21). *Annual budget of 1999* [Budget speech]. House of Representatives, Kuala Lumpur.
- 13) Manasse, E. M. (1947). Max Weber on race. *Social Research*, 14, 191–194.
- 14) Mauzy, D. (1993). Malaysia: Malay political hegemony and 'coercive consociationalism.' In J. McGarry & B. O'Leary (Eds.), *Politics of ethnic conflict regulation: Case studies of protracted ethnic conflicts* (pp. 106–127). Routledge.
- 15) Mills, L. A. (1925). British Malaya, 1824–1867. *Journal of the Malay Branch of the Royal Asiatic Society*, 3(2).
- 16) Mohamad, Mahathir *The Malay Dilemma*, Marshall Cavendish, 1 Editions, 1970, Singapore, 2010.
- 17) Noltie, H. J. (2009). *Raffles' Ark redrawn: Natural history drawings from the collections of Sir Thomas Stamford Raffles*. British Library & Royal Botanic Garden Edinburgh.
- 18) Panayi, P. (2000). *An ethnic history of Europe since 1945*. Longman.
- 19) Png, P.-S. (1969). The Straits Chinese in Singapore: A case of local identity and socio-cultural accommodation. *Journal of Southeast Asian History*, 10(1), 95–114. <https://doi.org/10.1017/S0217781100004300>
- 20) Raffles, S. (1819, June 9). Letter from Sir Thomas Stamford Raffles to John Tayler. National Library Board, Singapore. Call no. RRARE 959.5703 RAF; Accession no. B18835716F.
- 21) Tarling, N. (1962). *British policy in Malayan waters in the nineteenth century*. K. G. Tregonning Papers on Malayan History.
- 22) Tan, B. (n.d.). *Textualising the Baba identity: Insights into the making of a bibliography*. In *Reframing Singapore*. Amsterdam University Press.
- 23) Turnbull, C. M. (1972). *The Straits Settlements 1826–67: Indian presidency to Crown colony*. The Athlone Press.
- 24) Winstedt, R. (1966). *Malaya and its history* (Reprint of the 1948 ed.). London.

25) Winthrop D. Jordan, (1965), White over Black, American Attitudes towards the Negro, chapel Hill, N.C.

ثالثًا : شبكة المعلوماتية (الانترنت)

- 1) Prosper Australia. (n.d.). Sir Stamford Raffles.
<https://www.prosper.org.au/geoists-in-history/sir-stamford-raffles/>
- 2) World Statesmen. (n.d.). Singapore: Straits Settlements.
<https://www.worldstatesmen.org/Singapore.html#Straits-Settlements>